﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقة بين نزول الملائكة، وكون القرآن منزَّلًا من عندِ الله الّذي هو بحفظِه

لَمّا أجاب اللّه تعالى عن مقترح الكافرين في الإتيان بالملائكة، فقال: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ﴾؛ أجاب عن الشُّبهة الأولى في قولِهم: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾، فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وجاءَ نَشْرُ الجوابَيْن عَلَى عَكْسِ لَفِّ المَقالَيْنِ اهْتِمامًا بِالابْتِداءِ بِرَدِّ المَقالِ الثّاني بِما فيهِ مِنَ الشُّبْهَةِ بِالتَّعْجيزِ والإفْحام، ثُمَّ ثُنِّيَ العَنانُ إلَى رَدِّ تَعْريضِهِمْ بِالاسْتِهْزاءِ وسُؤالِ رُؤْيَةِ المَلائِكَةِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾: أصلُ (حفظ): يَدُلُّ على مُراعاةِ الشَّيْءِ[2]، ويأْتي الحِفْظُ بِمَعْنى: الرعايةِ والعنايةِ، وضِدُّهُ التَّضْييعُ والتَّفْريطُ، تَقولُ: حَفِظَ المالَ حِفظًا؛ إذا رَعاهُ، ومَنَعَهُ مِنَ الضَّياعِ، والحِفْظُ أيْضًا: التَّعاهُدُ، وضِدُّهُ النِّسْيانُ، يُقالُ: حَفِظَ الكلامَ، أيْ: تعاهَدَهُ، ولَمْ يَنْسَهُ[3]. والحافِظُ والحَفيظُ الموكَّل بِالشَّيْءِ ليحفظَه، يُقالُ: فلان يَحفظُنا علَيكُم وحافِظُنا[4]. والمراد بـ ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ في الآية، صونُ الذِّكر عن الضَّياع والتَّحريف والزّيادة والنَّقص[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/20، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/20.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حفظ).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (حفظ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (حفظ).
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/207.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الذّكر الَّذي بَعَثَ اللهُ به نبيَّه ﷺ، محفوظ ومحروسٌ على الدّوام

بيَّن الحقُّ ﷻ أنَّه قد تكفَّل بحفظِ هذا القُرآن الَّذي سَبَق للكافرين أنِ استهزؤوا به، وبمن نَزَلَ عليه، فقال: إنّا نحنُ نزَّلْنا القرآنَ الَّذي فيه الذِّكرَى والموعِظةُ والشَّرَفُ، وإنّا له لحافِظونَ في حالِ إنزالِه مِن استِراقِ كلِّ شَيطانٍ رَجيمٍ، وبعدَ إنزالِه بحِفظِ ألفاظِه ومعانيه مِنَ الزّيادةِ والنَّقصِ والتَّحريفِ، ولحافظون له بالإعجاز، فلا يَقْدِرُ أحدٌ على معارضته أو على الإتيان بسورة من مثله، ولحافظون له بقيام طائفةٍ من أبناء هذه الأمَّة الإسلامية باستظهاره وحفظه والذَّبِّ عنه، إلى أنْ يرث الله الأرض ومَن عليها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بديع القولِ بالموجِبِ، في سياق الآية:

الرَّدُّ على شبهةِ الكافرين من كلامِهم، أسلوب قرآنيّ بليغ

لَمّا أخبر الله عن الكافرين قولَهم: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾؛ جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ على طريقِ القَوْلِ بالموجِبِ بتَقْريرِ إنْزالِ الذِّكرِ عَلَى الرَّسولِ ﷺ مُجاراةً لِظاهِرِ كَلامِهِمْ، والمَقْصودُ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ في اسْتِهْزائِهِمْ[2].

براعة التَّعبير، في سياق حفظ الله للقرآن:

حفظُ القرآن من كيدِ الأعداء، ارتقاء به وتعظيمٌ لشأنِه

في سَبْكِ الجملتين من الدّلالةِ عَلى كمالِ الكبرياءِ والجلالة وعلى فخامة شأنِ التنزيل مالا يخفى؛ إذ بدأت الآية بالتأكيد على تعظيم شأنِ المنزِّل والمنزَّل، ثُمَّ زادَ ذَلِكَ ارْتِقاءً في بيانِ شأنِ الذِّكرِ ونِكايَةً لَهُمْ بِأنَّ مُنْزِلَ الذِّكر هوَ حافِظُهُ مِنْ كَيْدِ الأعْداءِ[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/68، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/207، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 262، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/255.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/20.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/69، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/20.

فائدة التَّعبير بضميرَي الجمع ﴿إِنَّا نَحۡنُ﴾ معًا:

تعظيمُ المنزَّل يدلُّ على تعظيم المنزِّل

أفاد الضّميران (نا) الّذي هو اسم (إنَّ)، و﴿نَحۡنُ﴾: التَّعظيمَ، أيْ: نحن بعِظَم شأنِنا وعلوِّ جنابنا نزَّلنا ذلك الذِّكرَ الّذي أنكروه، وأنكروا نزولَه عليك، ونسبوك بذلك إلى الجنون، وتعظيم المنزِّل، يدلُّ على تعظيم المنزَّل[1].

دلالة صيغة فعَّل، في قولِه: ﴿نَزَّلۡنَا﴾:

مجيءُ صيغةِ فعَّل للمبالغة، في نزول القرآن وتعظيم شأنِه

أفادت صيغة (فعَّل) تكثيرَ التَّنزيل؛ للإشعار بالمبالغة في نزولِه وتعظيم شأنِه، ولَمّا كان السياق في بيان حفظه من الطَّعن وغيرِه، وهذا لا يكون إلّا في الأرض، وليس حينما نزل من السَّماء دفعةً واحدةً؛ ناسب أنْ يأتي بصيغة فعَّل التي تدلُّ على نزولِه على رسول اللّه ﷺ في الأرضِ تدريجًا ومفرَّقًا.

نكتة اختيار لفظ ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ في الآية:

القرآن سيبقى مذكورًا على ألسنة المؤمنين، إلى يومِ الدّين

لم يَقُلْ: (نزَّلنا القرآن) مع أنَّ القرآن أخصُّ في العَلَميَّةِ على المنزَّل من عندِ اللّه من لفظ الذِّكر عندَ الإطلاقِ؛ لأنَّه جاء على طريق القول بالموجِب كما تقدَّم، وللإشعار بأنَّه مَذْكورٌ عندَ اللّه وعندَ الملأ، ولَمّا بيَّن أنَّه تعالى حافظٌ له، وأنَّ حِفْظَه أمرٌ ثابتٌ دلَّ على أنَّهُ سيبقى مذكورًا، ويلزمُ منه دوامُ كونه مقروءًا مادام اللّه حافظًا له، فهو مقروءٌ على ألسنة الخلق إلى يوم القيامة[2]، وفيه إشارةٌ إلى ما هو واقع ثابتٌ في المستقبل.

فائدة مجيء المسند ﴿نَزَّلۡنَا﴾ جملة فعليَّة:

تقويةُ مضمون الجملةِ، وتحقيقُها بمجيءِ المسندِ جملةً فعليَّة

قوله: ﴿نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾، تَحْتَمِلُ هذه الجملة أنْ تكون خبرًا عن ﴿نَحۡنُ﴾؛ لِتُفِيدَ تَقْوِيَةَ الحكمِ وتحقيقَهُ وتخصيصَهُ، بمعنى تَحْقِيق أنَّ اللّه تعالى هو الذي نزَّل الذِّكر وتخصيصِه به سبحانه، فتكون جملة

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/123، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/68.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/286.

﴿نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ خبرًا عن (نا)، ويَحْتَمِلُ أنْ تكون خبرًا عن (نا)، ويكون ﴿نَحۡنُ﴾ تأكيدًا للضَّمير (نا)، ومآل المعنى واحدٌ[1].

دلالة الواو في ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾:

حِفْظُ الله تعالى للقرآنِ، حجَّةٌ على أنَّه نزَّله على رسولِه

أفادت الواو العطفَ؛ ليكون الكلامُ من عطفِ الجملة الاسمية على الجملة الاسمية؛ ليكون بمجموعهما الرَّدُّ على إنكار الكافرين واستهزائهم، كما أشْعَرَ العطفُ أنَّ الجملة المعطوفة بمنزلة الدليل على معنى الجملة المعطوف عليها، فكان حِفْظُ اللّه تعالى للقرآنِ دليلًا وحجَّةً على أنَّ اللّه تعالى نزَّله؛ لأنَّه لو كان من قول البشر، أو لم يكنْ آيةً؛ لتطرَّق عليه الزيادة والنقصان، ولم يبقَ محفوظًا من التبديل والتَّغيير، كما يتطرَّق على كلِّ كلام سواه[2].

فائدة ورود الجملة الاسميّة في السّياق:

بيان ثبوت حفظِ اللهِ تعالى للقرآنِ ودوامُه

في قولِه: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ لَمّا كانت الجملة الاسميَّة تفيد الثُّبوت والدَّوام؛ دلَّ الكلامُ على ثبوتِ حفظ اللّه تعالى للقرآن ودوامِه[3].

دلالة عودِ الضّمير في قولِه: ﴿لَهُۥ﴾:

حِفْظُ للقرآنِ، ضمان لحمايته من التّحريف والعبث به

يعود الضّمير إلى أقرب مذكور، وهو ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾، وهو ظاهر قولِ جمهور المفسِّرين، وليس إلى الرَّسول، كما نقلَ عن بعضهم[4]، فإنَّه لا تعلُّق بين إنزال اللّه للذِّكر، وبين حِفْظِ اللّه تعالى للرَّسول؛ لأنَّه تعالى قد يحفظ الرَّسول وإنْ لم يُنزِّل عليه الذِّكرَ، والمعنى: وإنّا للذِّكر لحافظون[5].

---

(1) العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن: 2/777، والسّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 221.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/572، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/211.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/69.

(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/352، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/123، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/486.

(5) الفرّاء، معاني القرآن: 2/85، وابن جرير، جامع البيان: 17/68، والماتريديّ، تأويلات أهل السّنة: 6/423، والباقلانيّ، الانتصار لنقل القرآن: 1/136.

دلالة تتابع المؤكّدات، في آية الحفظ:

تأكَّدت الجملة بالأداة (إنَّ) التي تُفيدُ تأكيدَ مضمونِ الجملة وباللّام في ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾، وبتقديم الجارِّ والمجرور، فأصلُ الكلام (وإنّا لَحافظون له)، كما أنَّ اللّامَ الدّاخلةَ على الضَّميرِ أفادت تقويةَ العامل على جهة المبالغة في الحفظ للذِّكر، كما أنَّ مجيءَ الجملة اسميَّةً قوّى هذا التأكيدَ، فلمّا وَكَلَ اللّه تعالى حفظَ القرآنِ إلى نفسه، وقرَّره بتتابع التأكيدات، لم يَقْدِرْ أحدٌ من الطاعنين مع كثرتهم على الطَّعنِ فيه منذ نزل، ففي حفظه حجَّةٌ على أنَّه من عندِ اللّه[1].

لَمّا وَكَـلَ الله تـعـالى حـفـظَ الـقـرآنِ إلى نفسه، لم يَقْدِرْ أحدٌ على الطَّعنِ فيه

دلالة تقديم ﴿لَهُۥ﴾ على ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾:

أفاد تقديمُ الجارِّ والمجرور على متعلِّقه ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ التَّخصيصَ، بمعنى: إنّا للذِّكر خاصَّةً دونَ سائر ما نزَّلناه من الكتب لَحافظون، وأفاد التَّقديمُ التَّأكيدَ كما تقدَّم، ولرعاية الفاصلة كذلك.

حِفْظُ الله تعالى القرآنَ خاصَّةً، دونَ سائر ما نَزَلَ من الكتب

دلالة إسناد حفظ الذِّكر إلى الله تعالى:

قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، قد يُقال: ما السِّرُّ في تَطرُّقِ التَّغْيير لِلْكُتُبِ السّالِفَةِ وسَلامَةِ القُرْآنِ مِنْ تطرُّقِ التَّغْييرِ لَهُ؟ والجوابُ: أنَّه لَمّا أوْكَلَ الله لِلْأحْبارِ حِفْظَ كُتُبِهِمْ، فَقالَ: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 44]، وتَوَلّى حِفْظَ القُرْآنِ بِذاتِه تَعالَى، فَقالَ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2]، فكان حفظ القرآن من التَّحريف مع توفُّر الدَّواعي على الطَّعن فيه، وإبطاله على مدار الأزمنة، لهو من أعظم المعجزات على أنَّ اللّه تعالى نزَّله على رسوله محمَّدٍ ﷺ، وفيه إخبارٌ عن الغيب، وهو واقع الآن، فَكانَ ذَلِكَ أيْضًا مُعْجِزًا قاهِرًا[3].

حفظُ القرآن من التَّحريف، مع تـوفُّـر الـدَّواعـي عـلـى الـطَّـعـن فيه، من أعظم المعجزات

---

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنة: 6/423.

(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/264، والقاضي عياض، ترتيب المدارك: 4/283، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/572، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/6.

(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/124.

إيثار حذف متعلّقِ اسم الفاعل ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾:

حِفْظُ الله للقرآن يعمُّ الحفظَ للقرآن، ولأمَّة القرآن

لَمّا كان اسم الفاعل ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ يَقْتَضِي متعلِّقًا؛ أفاد حَذْفُهُ معنى العموم، أيْ: لحافظون من كلِّ ما لا يليق به، فَيَدْخُلُ فيه حفظُه من تكذيبهم له واستهزائِهم به دخولًا أوّليًّا، فيكون وعيدًا للمستهزئين، ويشمل الحِفْظَ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلةِ في حقّيته، ودخل في حفظِه الحِفْظُ مِنَ التَّلاشي، والحِفْظُ مِنَ الزّيادَةِ والنُّقْصانِ فيهِ في ألفاظه ومعانيه، بِأنْ يَسَّرَ تَواتُرَهُ وأسْبابَ ذَلِكَ، وسَلَّمَهُ مِنَ التَّبْديلِ والتَّغْييرِ حَتَّى حَفِظَتْهُ الأُمَّةُ عَنْ ظُهورِ قُلوبِها مِنْ حَياةِ النَّبيّ ﷺ، فاسْتَقَرَّ بَيْنَ الأُمَّةِ بِمَسْمَعٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وصارَ حُفّاظُهُ بِالِغينَ عَدَدَ التَّواتُرِ في كُلِّ مصرٍ، كما أفاد حذفُ المتعلِّق عمومَ الزَّمانِ، بمعنى: أنَّ حفظه عن الطَّعن وغيره في كلِّ وقتٍ[1].

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾:

الحافظُ للشَّيء عالمٌ بأحوالِه، ولا يعتريه جهلٌ ولا نسيانٌ

عُبِّر بلفظ ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ للإيذانِ بأنَّ اللّه تعالى هو المتكفِّل بتعهُّده ورعايتِه بمعنى منع تغييره وتحريفه والنَّقص فيه، وأفاد التَّعبيرُ أنَّه تعالى عالمٌ به، فإنَّ الحافظ للشَّيء عالمٌ بأحوالِه، ولا يتخلَّلُه جهلٌ ولا نسيانٌ، فإذا خَفيَتْ عليه أحوالُه أو بعضُها؛ لا يتأتَّى له حفظه[2].

سرُّ إيثار التَّعبير بصيغة اسم الفاعل ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾:

أشْعَرَ التَّعبيرُ بصيغة اسم الفاعل، عراقةَ وصفِ حفظِ اللّه للقرآن وثباتَه له سبحانه.

---

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/573.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 205، والرّاغب، المفردات: (حفظ).